

التربية والتعليم في السجون المصرية

للاستاذ فتح الله محمد المرصفي ، مفتش التعليم بمصلحة السجون

١ - تمهيد :

لم يكن التعليم - فيما مضى منذ سنة ١٩٠١ - في السجون المصرية بالأمر الهام ، إذ كانت سياسة التعليم وانتشاره محدودة الأثر ، بين طبقات الأمة ، وخاصة العامة من الشعب وإلى عهد قريب أضحى التعليم في السجون ، وعلى الأخص في دور الإصلاحيات ، ركنا هاما من أركان الإصلاح والتهديب . وماتلك النهضة ، وهذه الحركة المباركة إلا أثرا من آثار حركة الإصلاح والتجديد ، في نواحي الحياة العلمية ، من معاهد التعليم المختلفة ، في جميع أنحاء المملكة ... وما سجون مصر وإصلاحياتها ، إلا معاهد قامت على أسس نظريات الإصلاح والتهديب منذ سنة ١٩٠١

٢ - التربية والتعليم :

فالتربية والتعليم في السجون ، قد تناولها تغيير كبير . فمدير السجون العام - اليوم - بماله من رغبة أكيدة في الإصلاح والتجديد ، قد هيا من وسائل الإصلاح والتهديب ، وبخاصة في محيط الأحداث المهمل وصغار المجرمين ، ما أصبح له أثر عظيم ، في حياتهم وتهديب نفوسهم .

٣ - مدارس السجون :

(١) التعليم في مصلحة السجون ، يرجع عنده إلى سنة ١٩٠٧ . بين الأختفان المهمل وصغار المجرمين ، من البنين والبنات ، وكذا المجرمين البالغين المعتادى الأجرام . وسنحاول - فيما يلي - أن نأتى على بيان ما تشرف عليه مصلحة السجون ، من معاهد اختلفت بها طبيعة أعمالها ، في حدود قوانين الدولة ، وما قامت عيه أمثال تلك المعاهد ، من نظم وأغراض . في غير بلادنا من العالم المتمددين . ففي مقدمة معاهد الإصلاح : مدرسة إصلاح الأحداث بالجيزة للبنين ، وهي مدرسة داخلية صناعية ، خصصت للأحداث المهمل ، المحكوم عليهم

بقانون التشرذ رقم ٤ لسنة ١٩٠٨ ، وتجاورها مدرسة اصلاح البنات ، وهي مدرسة داخلية أيضا ، للتدبير المنزلى . و (ثالث) تلك المعاهد : مدرسة اصلاح الأحداث بالمرج ، داخلية زراعية ، وتعنى بفلاحة البساتين والصناعات الزراعية و(رابعها) مدرسة أحداث الزل بالقناطر الخيرية ، وهي معدة لتعليم الأحداث صناعة الغزل . ولا يفوتنا أن نشير الى أن اصلاحية البنات ، تجمع ما بين تنفيذ كل من قانون التشرذ وقانون العقوبات ، التي تصدر على من يلحق فيها من البنات ، وأما اصلاحية المرج ، فقد انفردت باصلاح صغار المجرمين من الأحداث المحكوم عليهم بقانون العقوبات . أما مصنع الغزل فقد أعد ليكون حلقة في تخصيص الأحداث في صناعة الغزل . وهؤلاء يكونون ممن أمضوا في الحياة الصناعية بأحداث الجليزة ما لا يقل عن سنتين ، مع توافر شروط خاصة اقتضتها الحياة الصناعية بهذا المعهد وفائدة الغلام .

ويبلغ تعداد الأطفال الملتحقين بهذه المعاهد اليوم نحو الفين ، منهم مائتان وخمسون بنتا . وهؤلاء الأحداث أصدرت عليهم محاكم الأحداث (وأخصها نثنان : الأولى بالقاهرة وأنشئت سنة ١٩٠٥ ، والثانية بالأسكندرية وأنشئت سنة ١٩٠٦) أحكاما تقضى عليهم بالوضع : إصلاحيات الأحداث ، طبقا لقانون التشرذ رقم ٤ لسنة ١٩٠٨ ، وقانون العقوبات لسنة ١٩٠٤ المعدل في سنة ٣١ و ٣٣ و ١٩٣٧

(ب) ومدرسة إصلاح الرجال Adult Reformatory ، وهي معهد داخلي صناعي ، والتعليم فيه الزامي على كل مجرم حديث بالإصلاحية ، غير ملم بالقراءة والكتابة ، وهو يكفل للمجرم الحصول على امتيازات لها شأنها في إصلاح حاله ، وأخص تلك الامتيازات : الافراج عن المجرم قبل نهاية المدة المحكوم عليه بها ، وفوق هذا وذلك ما قد يتعلمه من صناعة تكفيه العوز والحاجة ، بل تكفيه العودة الى الإجرام .

(ج) ومن بين مدارس السجون ، مدرسة أولية ، لتعليم أبناء الموظفين والمستخدمين والقائمين بالخدمة في السجون الكبرى ، وهي تنشأ بجانب اللجان (ليمان) كلمة تركية معناها مرفأ ، أطلقت على سجون الأشغال الشاقة والمؤبدة التي تبعد كثيرا عن المدن الآهلة بالمدارس المختلفة) .

(د) وبجانب المدارس الأولية ، مدارس لتعليم صف وعساكر النظام بالمصلحة مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، وأصول الدين الحنيف ، وبعض السور

والآيات القرآنية الكريمة، التي لاغنى عنها في إقامة الصلاة، وشعائر الدين القويم، وهؤلاء العساكر يتولون الخدمة بالسجون بعد انقضاء مدة الخدمة العسكرية الإلزامية كسجانيين في السجون العامة لرقابة السجناء . والمصلحة اليوم لم تأل جهدا في رفع مستوى التعليم لهذه الطائفة بما يتفق وحالتهم مدة إقامتهم في السجون ومباشرتهم للسجناء .

٤ - المشتغلون بالتعليم :

وطبى أن يصادف المشتغلون منا بالتعليم في مدارس السجون ، وأخصها مدارس الإصلاحيات ، صعوبات متعددة مختلفة لا حد لها ولا نهاية ، ولا نبالغ إذا قررنا أن الكثيرين من الأطفال يتنا من الشواذ ، وهؤلاء ممن أستعصى حل معضلاتهم على والديهم وذوى قرباهم ، فأصبحوا طريدى الأهل والأقارب . وكثير منهم لم تتسع لهم صدور معلمهم ، سواء في المدارس أو المصانع التي كانوا يتلقون فيها العلم والصناعة ، وسوف يأتي اليوم القريب الذي نستخدم فيه مقياس الذكاء واختبارات الصداقة لنسد الفراغ العظيم الذي نرى أن الحاجة ماسة إليه . وليس هذا في إصلاحيات الأحداث فحسب بل في جميع مراحل التعليم بوزارة المعارف العمومية .

٥ - نظام منح المكافآت المالية والأدبية :

ليس أحق من التقدير والاستحقاق في نواحي الحياة العلمية والصناعية والحلقية في مدارس الإصلاحيات من هؤلاء الأطفال الذين كانوا طريدى الأهل ، ومنبوذى الهيئة الاجتماعية ، فهم والحال هذه ليس لهم نصيب في العلم والتعليم . كما لم يستمتعوا بالشفقة والحنان الأبوى ، ولم يسعدهم الحظ فينالوا قسطهم من التشجيع ، ولم يحظوا بكلمة شكر أو ثناء ، لهذا فهم أحوج الى نظم تقوم على أساس التشجيع ، وتثير فيهم تلك الميول الفطرية ، فاهم إلا أطفال لهم ما لأطفالنا من حق الطبيعة عليهم ، فليس بغريب أن تأخذ مصلحة السجون هؤلاء الأطفال بنظم الامتيازات والمكافآت على تنوعها لتدفع فيهم الرغبة الصادقة الأكيدة ، في العلم والتعليم والصناعة ، وتكوين حسن الخلق فيهم وإن المقام ليضيق بنا إذا حاولنا أن نأتى على تفصيل نظام منح المكافآت على اختلاف أنواعها ، والإشارة الى ذلك تفنى عن التعبير .

٦ - المناهج الدراسية العلمية والعملية :

(١) لقد عنت مصلحة السجون عناية خاصة في السنوات الأخيرة باستقرار مناهج التعليم العلمى والعملى في مدارس الإصلاحيات ، فوضعها على أن يكون الغرض الأول : إعداد الأطفال صناعيا وعلميا لمكافأة الحياة بالطرق الشريفة حيث

تشمل معظم انشطة الخلية من جهة، والفلاحة والصناعات الزراعية من جهة أخرى، و حياة ندرية وما إليها تربية البلد ، مضافا إلى ذلك منهاج تعليمي أوف أخص ما يدور حوله تحفيظ ما لا يقل عن جزئين من القرآن الكريم والمبادئ الضرورية الأولية من الدين الخليل والتهديب واللغة العربية (المطالعة والاملاء والإنشاء والمحادثة والأناشيد) والحساب على قدر معلوم والمعلومات العامة (الجغرافيا والتدبير الصحي والمترقب والأشياء والتاريخ) والرسم النظري العام والرسم الصناعي (الذي يختص به فريق الأطفال الملحقين بالصناعات التي تستلزمها الاحاطة بتلك المادة من أحداث الخيرة، وفوق هذا ما يحيط به الطفل من جميع نواحي الحياة مدة إقامته .

(ب) الكتب الدراسية : وعلى هذا فإن ما تسر فيه مدارس المصلحة من كتب ومقررات دراسية وفق ما تصدره وزارة المعارف العمومية في جميع مدارسها الأولية ومكاتبها العامة .

٧ - التربية الدينية :

لما كانت التربية الدينية بين الأطفال الحجر الأساس في تهذيبهم وتنشئتهم ، لم يغفل أولو الشأن الإهتمام بتعليمها والعمل على إقامة الشعائر الدينية ، فساد دور الاصلاحيات الاجتصاص بالدين وفضائله وحست بين الأطفال بيئة دينية تهذيبهم سواء السبيل .

٨ - المدرسون :

إن القائمين بشئون التعليم في هذه المعاهد على اختلاف نواحيها ووجهة نظرها وإعداد الأطفال وتدريبهم على الحياة العملية، رجل ذو مؤهلات علمية وإجازات دراسية من مدارس المعلمين، وأحصها التعليم الأولى، والمدارس الصناعية والفنون التطبيقية والمدارس الزراعية التابعة لوزارة المعارف العمومية .

٩ - أوقات الفراغ :

وضع لها برنامج واسع المطاى لمختلف الألعاب الرياضية من معاهد الاصلاحيات، وقد تعداها اليوم إلى مدارس صف وعساكر النظام بالمصلحة، ويشتمل هذا البرنامج على كرة القدم وكرة الشبكة والألعاب السويدية المختلفة، والتمارين العسكرية، قديمها وحديثها، وقد كان لها الأثر العظيم في صحة الأجسام وسلامة العقول .

ومن مميزات هذه النهضة الحديثة ودور الاصلاحيات، أن دبت روح التمثيل الأدبي بين الأطفال فأخترت منتطوعات والأناشيد القومية والتاريخية الحماسية الوطنية، وكل ماله صرمي نبيل من تلك العوطف الشريفة، نحو عزة النفس وكرامتها، إلى تذوق الحرية وما يدعو إلى الشعور الحى ولوجدان الصادق .

أضف إلى ذلك إقامة الشعائر الدينية من الوجهة الأكل ، ومشاهدة الخيالة "السنيا"
باستعراض الموضوعات الأدبية والعلمية ، ومطالعة كتب الأطفال المختارة المسلية المفيدة ،
حيث أنشئت مكتبة خاصة للأطفال في كل مدرسة من مدارس الإصلاحيات ، ووضع
نظام يكفل تحقيق تشجيع الأحداث على المتابعة الحرة .

وفي يقيني أن كل ما يحيط بالأطفال من أنواع التسلية في أوقات الفراغ ، لمؤأفد
بكثير في تنشئتهم وله بالغ الأثر في حياتهم ، وتهذيبهم ، من أن يلقنوا دروسا قد لا تعود
عليهم بفائدة تذكر في حياتهم العملية بعد

تفتيش التعليم :

الغرض منه مراقبة طرائق التعليم على اختلافها ، وما يبذل من مجهود في رفع مستوى
تعليم الطلبة في جميع نواحي حياتهم العلمية والصناعية والزراعية بمدارس السجون ، وذلك
تحت رقابة المدير العام ، على أن يقوم بالتفتيش إخصائيو فنون يشرفون على كل ناحية
من تلك النواحي كل فيما يخصه ، فمفتش التعليم يتناول الأشراف على نواحي الحياة العلمية
ومفتش الزراعة يتناول نواحي الحياة الزراعية ، وأخيرا مدير الصناعات يتناول التفتيش على
الحياة الصناعية . وكل ما نامله ونرجوه في المستقبل القريب وفي عهد النهضة القومية
وفي ظل الحياة النيابية أن يشمل التفتيش جميع السجون ، ليتمكن للصلحة تأدية رسالتها
في إزالة الأمية ، وهي جادة في كل ما يعود على إصلاح المسجونين . فيهم وإن كانوا من
الطبقة العامة من الشعب ، إلا أنهم أعضاء الأمة العاملين في جسمها وحياتها .

إنارة الرأي العام :

وإنه بلديربنا أن نشير إلى انتباه النوم واستيقاظ الرأي العام في السنوات القليلة
الماضية إلى وجوب العناية برعاية الطفل ، وبمحت مشكلة الأطفال الحمل وصغار المجرمين
وتلك ناحية يجهلها الخاص والعام من الناس .

ولقد كان للمجهود التي بذلتها مصالحة السجون في تلك السنوات ، من حيث إقامة
الحفلات الرياضية وحضور طلبة انقوم ورجال الحكومة وجمهرة الشعب فيها . وفوق
هذا ما أذاعه أولو الشأن لأول مرة في التقرير السنوي ، الذي شمل كل نواحي الحياة في
السجون المصرية ، ما قد أثار اهتمام الجمهور والرأي العام ، وحفز قادة الفكر في الأمة إلى
ما ينبغي اتخاذه نحو معضلة باتت من الأهمية بمكان ، من حيث الوقاية من الجريمة
ووجوب انتشار الأمن في ربوع البلاد . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

محمد فتح الله المرصفي